إنه ضـــوء القمر

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأستاذ جمال الدين الحجازي

كانت مدام جولى روبير تنتظر أختها مدام هنريت ليتورالتى عادت من سويسرا منذ خمسة أسابيع ، بعد أن سمحت لزوجها بالبقاء وحده فى كالفادوس لإنجاز بعض الأعمال التى تتطلب وجوده ، وأتت لتقضى بعض أيام مع أختها فى باريس للترويح عن أنفسها . وفى الصالون الهادىء ، جلست مدام روبير تقرأ وهى شاردة الذهن ، ترفع عينيها بين وقت وآخر كلما سمعت صوتاً . وأخيراً سمعت دقاً على الباب ، فظهرت أختها حالاً وكانت تلبس معطف السفر . وفجأة وقبل التحية تعانقتا بشدة . ثم بدأ الحديث عن الصحة والعائلة وأشياء أخرى تجيدها النساء ...

كان الوقت مساء ، فأضاءت مدام روبير المصباح ، ولما رأت وجه أختها رغبت فى عناقها مرة ثانية ، فاقتربت منها ، واشد ما كانت دهشتها عندما رأت ضفيرتى أختها الطويلتين قد ابيضتا ، بينما كان القسم الآخر من شعرها أسود لامعاً وظهر شعرها الأبيض كالفضة تحوطه هالة من السواد .

كانت مدام هنريت شابة لم تتجاوز الرابعة والعشرين من عمرها ، فما هو السر فى ابيضاض شعرها ! إنها لم تره هكذا إلا بعد عودة أختها من سويسرا .

نظرت مدام روبير إلى أختها بدهشة والدمع يترقرق فى مآقيها لأنها اعتقدت بأن حادثا مخيفاً ألم بأختها فسألتها بابتسامة حزينة :

— ما ذا حصل لك يا هنريت ؟

— لا شىء يا شقيقتى ... أكنت تنظرين إلى شعرى الأبيض ؟

ولكن مدام روبير قبضت على ذراعيها بشدة وكررت عليها السؤال :

أخبريني ماذا حصل لك ... أخبريني بالحقيقة وإياك والكذب : ومكثتا برهة تنظر إحداهما إلى الأخرى وقد امتقع وجه هنريت وكانت دمعتان تبللان وجنتيها فسألتها أختها بلطف :

ألا تودين إخبارى بما ألم بك ؟

وفى صوت خافت قالت بعد أن أخفت جبهتها بين ذراعى شقيقتها :

لى ... لى حبيب ! !

وهناك على الكنبة جلست الأختان فى أحد أركان الغرفة تتحادثان وقد وضعت الأخت الصغرى ذراعها على عنق أختها الكبرى بدلال وأخذت تنصت إلى حديثها :

إنك تعرفين زوجى وتعرفين كم أحبه ! فهو رقيق الشعور ، طيب ، باسم الثغر ، لطيف ومستقيم إلا أن به عيباً واحداً وهو أنه لا يستطيع أن يطرى محاسن المرأة ! ولست أدرى لما ذا ؟ آه كم كنت أتمنى أن يضمنى بين ذراعيه بشدة ، ويقبلنى قبلات حارة تمتزج بها أنفاسنا ! وكم تمنيت أن يكون ضعيفاً بين يدى فيحتاج إلى رقتى وعطفى ودموعى ! قد يظهر أن ما قلته لك تافه ولكننا نحن النساء جبلنا على هذا فما العمل ! ومع ذلك لم أفكر لحظة فى خيانته حتى على شاطىء بحيرة لوكيرن !

هناك على شاطىء البحيرة ، كان القمر يرسل أشعته الفضية على الكون فيملأه بهجة وحبوراً ؛ وشعرت حينئذ بشىء لست أعرف كيف أفسره ! ففى الشهر الذى قضيناه نتنزه فى سويسرا ونمتع أنفسنا بجمال تلك البلاد ، أثار زوجى إحساساتى بهدوئه وصمته وتركنى وحدى سابحة أهيم فى الحسن والجمال ! ألا يثير الجمال النفوس ويبعث فيها الحب ! ألا تثير ممرات الجبال الضيقة والأودية العميقة والغابات الواسعة والجداول الرقراقة والقرى الصغيرة الجميلة كل حب للجمال !

أجل لقد سحرتنى هذه المناظر بجمالها فقلت لزوجى وقد ارتميت بين أحضانه : ما أجمل هذه المناظر يا حبيبى ... انظر

إلى القمر المنير والبحيرة الجميلة ... ألا تدعو هذه المناظر الساحرة المحبين للقبل ! ! قبلني الآن وفي هذا المكان قبلة حارة وامزج أنفاسك بقلبي المذاب ! ولكنه أجابني بابتسامة لطيفة باهتة : « لا يوجد سبب يدعو إلى القبل » فتأثرت جداً من كلامه .

غاظني زوجي بسلكه هذا ، فقد منع تلك الخيالات الشعرية والسبحات الفكرية من أن تخرج إلى دنيا الجمال وأبقاها مكنونة في نفسي عديمة الجدوى .

وفي إحدى الأمسيات ذهب روبير إلى فراشه بعد العشاء ، وكان قد أصابه صداع ؛ فذهبت في نزهة على البحيرة . وهل لي غير البحيرة وشاطئها الجميل ؟

كانت الليلة مقمرة كتلك الليالي التي نقرأ عنها في أساطير الخيال ؛ وكان القمر يزهو باكتماله في كبد السماء ، ويحيي الأرض بأنواره الفضية ، فيكسبها جمالا وبهاء . وظهرت الجبال العالية بثلوجها البيضاء كأنها تلبس تيجاناً فضية ، ولمعت مياه البحيرة لمعاناً أخاذاً في ضوء القمر الجميل ، وكان النسيم عليلا يهيج الذكريات ، ويبعث الشوق في القلوب .

جلست على العشب ، ونظرت إلى البحيرة وقد استولى عليَّ سحرها ، فمر بي طيف عابر ، وأحسست أن الحب قد تملكني وأصبحت في حاجة إليه . فتذكرت حياتي الأولى وما بها من سآمة ويأس فحزنت وتساءلت : ترى هل يبسم لي الزمان فأجد نفسي على شاطىء البحيرة في ضوء القمر الساطع بين أحضان حبيب يلهبني بقبلاته فأنتعش بتلك القبلات الحارة التي ينعم بها العشاق ! ! وعندها شعرت بحبات لؤلؤية تتساقط على وجنتي لم أدر سببها وسمعت من يقول : « لم هذا البكاء يا سيدتي ؟ خفني عنك ما تجدين ... فعلام الحزن وعلام البكاء » وكنت مضطربة فقلت إني مريضة فسار إلى جانبي وكان طيب القلب وبدأ يحدثني عما رأيناه في رحلتنا من المناظر الجميلة وترجم كل ما أحسست به إلى كلمات جذابة ، وشعرت بأنه فهم إحساساتي وشعوري كل الفهم ، وفجأة أسمعني بعض الأبيات الشعرية لألفرد دي موسيه فشعرت كأنني في عالم غير عالمنا ، وخيل إلي أن الجبال والبحيرة وضوء القمر تغني وتسبح مبدع هذه المناظر الجميلة الساحرة

وفي الصباح بينما أنا غارقة في هذه النشوة تركني هذا الحبيب واختفى بعد أن قدم إلى بطاقته ! وهنا تأوهت مدام ليتور وكادت تصيح . . .

فقالت مدام روبير وقد سرها ما سمعت :

« لتعلمي يا شقيقتي العزيزة أننا لا نحب الرجل دائماً ولا يستطيع أن يثير أشواقنا ؛ فلا غرو أن حبيبك الحقيقي وأنيسك الذي سحرك بحلو ألفاظه ورقة شمائله وأثارك وبعث فيك الحب والغرام في تلك الليلة وأنار لك السبيل هو ضوء القمر .. أجل أنه ضوء القمر ! »

جمال الدين الحجازي

وزارة الدفاع الوطني

تقبل العطاءات لغاية ظهر يوم ٣٠ / ١ / ١٩٤٨ عن توريد مبارد وأجنات حديد وقلم اجنة وزاوية براد وبروار منشار وبورى لحام وزيت ٣٠ م وشحم ابيض ومانومترات وخرطوم اكسجين واستيلين وحجر جلخ وصندوق قلاووظ كامل وجنازير وفحم حجرى وخوصة حديد وصلب يای خوصة والواح صاج أسود والواح نحاس أصفر .

والشروط بإدارة المشتريات والعقود وثمن النسخة منها ٢٥٠ مليماً

٨٧٤٨